٥٢٢٠ ٢٦
٥٩٥ مصر

مجيدة شنن

مجـــازة في الحقوق

دبلـوم في الحقوق العامـــة

# خطـــــرات

# فـــي

# مكانة المرأة وحقوقها بين الجاهلـية والاسـلام

رســالة حقوقيــة باشـــــراف

الدكتور عدنان القوتلي

سمحت كليــة الحقـــوق في الجامعـــة الســـورية بطبعهـــا بتاريـخ ٧/ ٦/ ١٩٥٤

١٩٥٣ / ١٩٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الاهـــــــداء .....

الى من علمتني كيف تكـون المرأة .....

الى امي .....

— مجيدة —

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— (( مخطط الرســـالـة )) —

المقدمـــــة

تمهـــيد — اثر المرأة في الاسـلام

الباب الاول — المرأة قبـــل الاســـلام

الفصـل الاول : المرأة في مكـة والمدينة ٠

الفصـل الثاني : المرأة في شبه الجزيرة العربية ٠

الباب الثاني — الحقوق الخاصة للمرأة في الاسلام

الفصـل الاول : حـــق الحـــياة ٠

الفصـل الثاني : حـق الحريـة — السبي — ٠

الفصـل الثالث : حـــق المساواة :

البحث الاول : مساواة المرأة بالمرأة ٠

البحث الثاني : مساواة المرأة بالرجل ٠

الفصـل الرابع : حـــق المرأة في التعليـم ٠

الباب الثالث — الحقوق العامة للمرأة في الاســـلام

الفصـل الاول : حرية الرأى ٠

الفصـل الثاني : حـــق المرأة في الانتخاب ٠

الفصـل الثالث : الحقوق السياسية للمرأة في الاســلام ٠

الفصـل الرابع : حـــق المرأة بالاشتراك في الحروب ٠

الفصـل الخامس : حق المرأة في ممارسة السلطات العامة ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ (( تابع مخطط الرســـــالة )) ـ

الباب الرابع ـ الشخصية الحقوقية للمرأة في الاسلام

الفصـــل الاول : الارث . صـ٣٠

الفصـــل الثاني : الحقوق المدنية والتجارية للمرأة . ٣٣

الباب الخامس ـ الاحوال الشخصية للمرأة في الاسلام

الفصـــل الاول : الـــــزواج .

الفصـــل الثاني : الطـــــلاق .

الفصـــل الثالث : الحجـــاب .

++++++++++++++++

==========

××××××

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## — ( المقـــدمـــة ) —

اذا كان في العالم العربي اليوم من مواضع للنقد ، ومطالب للاصلاح ، فانني اثق ان موضوع المرأة من اهم هذه المواضع والنقاط شأنا واعظمها في مستقبلنا اثرا ووزنا .

وان في دراسة موضوع السيدة العربية دراسة علمية متسلسلة مبنية على البحث النزيه والغاية المثلى التي لاتهدف الا لاصلاح هذه السيدة الحائرة لحل كثير من مشاكلنا الجمة وشفاء لغالبيـــة عللنا المزمنة ، المتراكم بعضها فوق بعض .

وليس هناك من ينكر على المرأة اثرها الهام في المجتمع وبأنها الحجر الاساسي الذى يرتكز عليه بناء الامة من جميع وجوهه .

الام مدرسة اذا اعددتها ... اعددت شعبا طيب الاعراق

ان هذه الاهمية للمرأة ، وما آل اليه وضعها الآن من تراجع وتقهقر الى الوراء واعتقاد الكثيرين من ضعاف الثقافة والعقل ان سبب وضع المرأة الحالي انما يعود الى القيود التي وضعها الديـــن الاسلامي في حياة المرأة ، والى العثرات التي رماها في طريقها ، جعلني اختار هذا الموضـــوع لاطروحتي الجامعية لاثبت للعالم بصفتي النسوية اولا وبصفتي الحقوقية القانونية ثانيا ، ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى مد كلتا يديه الى المرأة واخرجها من الظلمات والعبودية والمادية فـــي العصر الجاهلي الى النور والحرية والروحانية السامية في الاسلام .

وان الاسلام منح المرأة كافة الحقوق الشخصية والفكرية والمالية .

وانه منحها الحرية على اختلاف اشكالها وانواعها .

وانه بتعبير عام ساوى بينها وبين الرجل تمام المساواة .

وليس غريبا هذا ، فالاسلام هو الذى نادى جاهرا بقوله تعالى في كتابه الكريـــم :

(( فاستجاب لهم ربهم اني لااضيع عمل عامل منكـــم ))

(( من ذكـــر او انثـــى بعضـــكم مـــن بعـــض ))

مجيدة شنن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(( تمهـــــيد ))

## اثر المرأة فـــي الاســـــلام

المرأة ! وما ادراك ما المرأة ! انها انسان مثل الرجل لا تختلف عنه في الاعضاء ووظائفها ولا في الاحساس ولا في الفكر ، ولا في كل ما تقتضيه حقيقة الانسان كانسان ، اللهم الا بقدر ما يستدعيـــه اختلافها في الجنس عن الرجل .

واذا فاق الرجل احيانا المرأة في القوة البدنية والعقلية ، فذلك انما لانه اشتغل بالعمـــل والفكر اجيالا طويلة كانت المرأة فيها محرومة من استعمال القوتين المذكورتين ، ومقهورة على لزوم — حالة من الانحطاط تختلف في الشدة والضعف حسب الاماكن والاوقات .

اقول اذا فاق الرجل المرأة ببعض المزايا فان هناك كثيرا من المجالات تفوق المرأة فيهـــا الرجل وتسبقه اشواطا .

فالمرأة وما طبعت عليه من دقة الحس ، وقوة العاطفة ، وبعد الخيال ، تكون اقرب من الرجل الى الكمال والخير اذا وفقت بمن يتعهدها ويصلح نهجها ويزيل ما بسبيلها من عوائق .

ومما لا شك فيه ان الدين والعلم هما الكفيلان لاستكمال فضائل المرأة واذاعة مزاياها الخاصة اذ هي — غير الرجل — لا تفرغ للحيلة اذا اعياها الاحتمال ونفذ منها الصبر بل تجد الله ملء سمعها وبصرها وقلبها وسريرتها فلا تحمل على سخطه وغضبه بل تستمده العون والمساعدة .

والمرأة اذا آمنت وصدقت فايمانها عميق وتصديقها وثيق وهذا مايجعل الدين اقرب الـــى روحها وارسخ في نفسها من الرجل .

والتاريخ لا يبخل علينا بامثلة واقعة وبراهين قاطعة على هذه الفكرة كقصة سمية ، ام ياســـر تلك التي آثرت العذاب والمشقة والموت على ان تشرك بالله وتحملت مالم يتحمله زوجها او ابنها (١)

وكذلك فان المرأة المؤمنة المعاصرة لا تقل عن المرأة العربية في صدر الاسلام ايمانا وعقيدة ، فلقد حدث في صيف ١٩١١ مايؤكد ذلك وهاني اترك الحديث لصاحب الحادثة اذ يقول :

---

(١) — من كتاب المرأة العربية في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٧٢ — ٧٣ عن انسان العيون جزء ١ ص ٣١٩ — ٣٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كنت اريد السفر بقطار الاسكندرية ـ القاهرة ـ وبينما انا انتظر في المحطة اذ بصوت يرتفع بالبكاء عاليا ولما اقتربت لاسمع الخبر وجدت فتاة في مقتبل العمر وحولها اناس كثيرون وهي تبكي دون انقطاع وفي تلك اللحظة بدأ القطار يتحرك فصعدنا جميعا وصعدت الفتاة ومعها والداها فسألته عن سبب بكائها ونحيبها المتواصل ، فاجابني اننا نقطن في اسبانيا وكانت تقطن بالقرب من منزلنا اسرة مسلمة ، وكانت ابنتي تتردد عليهم كثيرا وتشاهد العائلة وهي تصلي وتدعو الله وتذكر النبي محمد ، فبدأت ابنتي تغسل ثيابها لوحدها وتجلس منفردة ثم اخذت تصلي كالاسلام وسمت نفسها فاطمة ، وهي لا تجيب الا اذا ناديتها بفاطمة ، فاقتربت منها وجلست امامها وقلت فاطمة فاطمة فرفعت رأسها وعيناها مخضلتان بالدموع وتحسرت فقلت لها : لم كل هذا الألم والبكاء والنحيب فاجابت بان البابا اصدر امره بطرد العائلة كلها من اسبانيا عقابا لي ، فقلت لا يا فاطمة كفاك عذابا والما اسلمي في قلبك وعودي لدينك ظاهرا . وهنا انتفضت انتفاضة قوية واجابتني بصوت عال لالا لن افعل هذا مطلقا ، دعوهم يقتلوني ، دعوهم يعذبوني ، فلن ارجع عن دين محمد (١) .

حادثتان ، تدلانا دلالة واضحة على ان التصديق العميق من شأن المرأة وطبيعتها والدين وحده هو الذي يملك عليها زمام نفسها وقوام امرها بما فيه من ذكر الله ووصف جلاله وعظمته وملكوته وجبروته وعجيب صنعه وناره وجنته وقدرته ورحمته ، وغير ذلك مما يوافق سجيتها ويثير عاطفتها ويزيد غرسها ذكاء ونفسها صفاء .

يقول جوستاف لوبون : (( ان المرأة اكثر تدينا من الرجل واخلص منه ، فدينها حب ، وحبها دين ، اما الرجل فكثيرا مايكون حبه ودينه تجارة )) (٢) .

ومن هو ذلك الذي يجادل في قوة المرأة بايمانها وعقيدتها عندما يسمع قصة ام شريك ، وام شريك هذه هي احدى النساء اللواتي ماسمعن بالاسلام حتى استحذبنه ونزعن اليه ، فكن ينبثثن في البيوت لدعوة من فيها من النساء الى الاسلام ، وجعلت ام شريك تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن وترغبهن في الاسلام حتى ظهر امرها لاهل مكة فاخذوها وكانوا يوقفوها في الشمس ويستظلون بظلها ، وقد حبسوا عنها الطعام والشراب وبينما هي كذلك اذ بأثر شيء بارد وقع عليها فتناولته فاذا هو دلو ماء فشربت ، ثم ارتفع ثم عاد فشربت وصبت الباقي على جسدها وثيابها فلما

---

(١) ـ كتاب المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٨ ـ ٩ .
(٢) ـ كتاب المرأة النموذجية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استيقظوا اذا هم بأثر الماء فقالوا حلّت سقائنا وشربت منها ، فاجابت لا والله ، وقصت عليهم القصة فنظروا في الاسقية فوجدوها كما تركوها ، فأسلموا لساعتهم (١) .

ولم يكن ثبات المرأة وقوة نفسها وقفا على عهد الرسول صلعم بل لقد صحبها هذا الثبات في كل مراحل حياتها وخامرت لحمها ودمها ، ففي عهد معاوية الذى خضع له أكثر الناس ودانت له رؤوس القوم ونطقت بما يحب السنتهم ، كنت ترى النساء اللواتي خاصمنه بجانب علي بين صفوف صفين لم تأخذهن صولته ولم يذهب برأيهن رهيف سيفه ولم يؤثر فيهن وعيده وتهديده .

وقد اتى عبد الله بن زياد عامل معاوية بامرأة من هؤلاء لها في قتاله والايقاع به شأن عظيم فهدأ يقطع رجلها وقال لها كيف ترين ؟ فاجابت ان في الفكر من هول المطلع لشغلا عن حديد تكم هذه (٢) .

واتى الحجاج باخرى منهن ، وكان يكلمها فلا تلتفت اليه ، فقيل لها ان الامير يكلمك وانت لا تنظرين اليه ، فاجابت : اني استحيي ان انظر الى من لا ينظر الله اليه ، فامر بها فقتلت .

وجيء اليه بامرأة اخرى فقال لها والله لاعدنكم عدا ولاحصدنكم حصدا ، فقالت له : الله يزرع وانت تحصد ، فاين قدرة المخلوق من قدرة الخالق ؟ (٣) .

وكم احتمل نساء الخوارج من ولاة العراق وسفاحيه من نكال ووبال وتمزيق اوصال فلم يهلك شيء من ذلك يروعهن او يحول دون غايتهن ، وكانت احداهن تقاد الى القتل صابرة راضية .

---

(١) — كتاب المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٧٤ — ٧٥ عن الاصابة جزء ٨ ص ٢٤٨ .
(٢) — كتاب المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٧٦ .
(٣) — كتاب المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٧٧ عن بلاغات النساء ص ١٣٤ — ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الباب الاول

## المرأة قبيل الاسلام

لابد لنا عند دراسة وضع المرأة في الحياة الجاهلية في جزيرة العرب من تقسيم الحياة العربية الى قسمين رئيسيين :

### الفصل الاول

### المرأة في مكة والمدينة

كانت المدينتان المقدستان في طريق القوافل التي تذهب من اليمن الى الشام وتؤوب من الشام الى اليمن وتكونت فيهما على مر العصور بيئة تجارية تعنى بالبيع والشراء ، واختلفت هذه البيئة الصغيرة اختلافا ظاهرا عن بيئة الرعاة المنتشرة في شبه جزيرة العرب ، وقد استقر الناس فيها على معايير اخرى في الحياة الاجتماعية ، لذلك اعترف ببعض حقوق المرأة في هذه البيئة التجارية ، وكان للنساء كما كان للرجال حق المتاجرة ، والسيدة خديجة التي اصبحت فيما بعد زوجة النبي صلعم ابرز مثال على هؤلاء اللواتي مارسن التجارة .

ولكن هذه الاقلية الضئيلة لا تصلح ان تكون مثالا واضحا لحياة المرأة في جزيرة العرب لانها محصورة في المدينتين المقدستين وببعض نادر من نسائها ، والقليل النادر لاعبرة له ولا يعقد به .

---

### الفصل الثاني

### المرأة في شبه الجزيرة العربية

كان العرب بمقتضى طبيعة اجتماعهم ونظام الغارات والسبي المتعارف بينهم يرون في المرأة سببا لمذلتهم ولحوق العار بهم ، فتشاءموا منها الى حد ان وأدوها ، والبيئة الغالبة في الجاهلية هي بيئة الرعاة وهم اولئك الذين يتنقلون من مكان الى مكان طلبا للعشب والكلأ وانتجاعا لموارد الماء والمرأة في هذا الوسط من الرعاة لا تتمتع بمركز يمكن ان يقال عنه انه اكثر من مركز الشاة والمتاع في نظرهم ، ذلك انهم قوم رحل يتنقلون دائما من مكان الى آخر وهم احرار يتمتعون بالحرية في اقصى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حدودها لايقوم بينهم قانون ولاينصاعون لشريعة ، وكل الذى بين ايديهم في هذا القبيل انما هو قانون غير مكتوب ، او قل انه عرف شبيه بالقانون هو "الأخذ بالثأر" وفي مثل هذه البيئة كان لابد للقوة ان يكون لها كل السلطان ، وكان لابد من قوة البدن في حماية الاهل والذود عن قطعان الماشية ، والمرأة لاطاقة لها بذلك ، لذلك كانت في بيئة الرعاة قليلة الشأن وكانت من بين المتاع الذى يملكه الرجل ، كانت كالشاة تماما يغير المغيرون لسبيها واستعبادها كما يغير المغيرون للاستيلاء على الشاة ومثل هذه البيئة هي التي نراها حينما ندرس حياة البداوة التي عاشها العرب في الجاهلية ، لذلك كان العربي يكره البنت ويجد فيها العار ، وكان الاب عندما تأتيه ابنة يحتار ، فاما ان يبقيها على كره لها ومضض ، او يحفر لها حفرة ويضعها فيها ويسيل عليها التراب .

ولكن قد يخرج لنا ناقد من نقاد الادب فيقول : اذن كيف نفسر هذا الشعر الذى امتلأت به بطون الدواوين مما يدور حول المرأة وما بال الشاعر الجاهلي يذكر المرأة ، ثم يذكرها كأنما لم يكن ليشغله غيرها ، ثم ماهذا التشبيب الذى نقرأه في مبدأ كل قصيدة يكاد الشاعر الجاهلي يستوحي من المرأة شعره ، ثم اليس في شعر الجاهلية تمجيد لذكر المرأة واستعلاء بها عما ذكر من انها كانت متاع يملك ؟ لقد يقول ذلك ناقد الادب ، وهذا حق ففي الشعر الجاهلي ذكر للمرأة ووصف لمحاسنها وتمجيد لها ، مما قد يقوم دليلا على ان المرأة في الجاهلية كانت في مركز التكريم ولكن دراسة الحياة الجاهلية لايمكن ان تكون دراسة كاملة اذا كانت مقتصرة على نقدة الشعر والادب اذ ان هناك هوة سحيقة بين الواقع والخيال الشاعرى ودراسة حياة السيدة العربية دراسة واقعية تجعلنا لانخرجها من حيث المركز والقيمة في ذلك العصر عن مركز الشاة وقيمة المتاع . حتى ان عرب الجاهلية فسروا كلمة النساء بان معناها الطرد والابعاد والتأخير وانها مشتقة من المنسأة اى العصا التي يطرد بها الراعي غنمه .

وزعم الكاتب الروسي احمد آغا بيف في كتابه حقوق المرأة في الاسلام العرب ، في الصفحة ٢٩ ان العرب كانوا يبيعون نساءهم بيع الرقيق او يستبدلون بهن بعض الحيوانات الاهلية ولم يذكر آغا بيف المصدر الذى اعتمد عليه ولا الحوادث التي استنبط منها حكمه الجرىء ولنفرض جدلا ان مثل هذا الحادث وقع مرة او مرتين في بعض البوادى وفي بعض اعوام القحط والشدة . فان مثل هذه الرواية لايمكن ان تعمم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٨٠٢٦٥



على انني وان كنت استبعد قول آغا بيف هذا ، وذلك التفسير لكلمة النساء ، فانني اجزم بان مكانة المرأة في العصر الجاهلي كانت في مركز حقوقي يرثى له ، او قل ان شئت انها ماكانت تعرف هذا المركز وما كانت تتمتع بنوع من انواع الحريات .

ونحن لانستطيع ان ندرس حياة المرأة في الجاهلية بشكل تام الا عندما ندرسها في كل ناحية من النواحي الاجتماعية القائمة آنذاك ، ثم ندرس موقف الاسلام من هذه النواحي الاجتماعية وكيف انه نهض بالمرأة الى حيز الانسانية .

++++++++++++++++

××××××××××

▬▬▬▬▬

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الباب الثاني

## الحقوق الطبيعية "الاساسية" للمرأة في الاسلام

### الفصل الاول

### حق الحياة

ان الفكرة التي كانت تحرم المرأة من حق الحياة في الجاهلية العربية هي فكرة الوأد والحرب هي التي كانت الاصل في وأد البنات ، وفي هذه العادة الخبيثة يتمثل كل مافي الحياة البدوية من خشونة ووحشية ، وذلك لان النساء كن عرضة للسبي ، وكن يؤسرن قسرا من بيوت الرجال ، فكان بعض الرجال خشية من وصمة الذل التي تصيبهم اذا ماوقعت بناتهم في الاسر ، او اتخذن سبايا ، فكانوا يحفرون لبناتهم حفرا يقذفونهن فيها ثم يهيلون عليها التراب وهي حية .

قالوا ان قيس بن عاصم وأد اثنتى عشرة بنتا له قبل ان يدرك الاسلام وسبب ذلك ان النعمان بن المنذر حارب بني تميم لمنعهم الاتاوة عنه فاستاق ماشيتهم وسبى نساءهم وفيهن بنت لقيس ، فوفدت وفودهم على النعمان ضارعين اليه ان يرد عليهم نساءهم ، فخير النعمان النساء فأية امرأة آثرت زوجها واهلها ردت فكلهن اخترن اهلهن وازواجهن الا ابنة قيس ، فانها اختارت سابيها النعمان فنذر قيس ان يئد كل ابنة تولد له حتى دفن منهن اثنتى عشرة بنتا وقيل انه لما اسلم — ومع ان الاسلام يجب ماقبله — لم يشأ النبي صلى الله عليه وسلم الا ان يعظم عليه مافعل ففرض عليه كفارة بان يعتق عن كل واحدة منهن نسمة (١) .

والنعمان بن المنذر هو نفسه الذى اجاب كسرى عندما عيره بوأد البنات عند العرب فقال : واما قولك ايها الملك ان العرب يئدون بناتهم فانما يفعلنه انفة من العار الى ان جاء الاسلام فأبطل هذه العادة الخبيثة الى الابد مناديا باعلى صوته في القرآن الكريم :

" واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت " (٢)

ثم يقول " واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء " مابشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء مايحكمون " (٣) .

---

(١) — تفسير الطبري جزء ٣٠ ص ٤٠ ومحاضرات الادباء جزء ١ ص ١٥٧ والمرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ١٦ .

(٢) — سورة التكوير آية ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يقول "" قد خسر اللذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله ""
"" افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ""(١) .

وزيادة في الحرص في مكافحة هذه العادة الوحشية التي يعلم الله كم اذهبت من الضحايا البريئات وكم اقشعر لهول هذه المشاهد كل يوم من قلوب واكباد ، فان النبي صلى الله عليه وسلم كان من جملة مابايع عليه النساء يوم فتح مكة "" الا يقتلن اولادهن "" .

ولقد بالغ الاسلام في رفع مكانة المرأة وشأنها حتى قضى نهائيا على هذه العادة الذميمة فقد ذكر الصحابي عن ابي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وامامه بنت ابي العاص على عاتقه وصلى فاذا ركع وضعها واذا رفع رفعها (٢) .

وان من يعود الى حياة محمد صلى الله عليه وسلم العائلية يجد كيف كان الرسول الكريم شغوفا بابنته فاطمة ومحبا لها ، اوليس هذا الحب والحنان لدليل كاف على رفع الاسلام للمرأة ، الم نسمعه يقول فيها :

"" فاطمة بضعة مني يسوؤني مايسوؤها ويسرني مايسرها "" .

الم تسمعه يقول :

"" استوصوا بالنساء خيرا "" .

ان هذه النظرة المحمدية اشادت بالمرأة ورفعت شأنها ونهضت بامرها وجعلت العرب يبتهجون عند ولادتها ، فهذا وهب بن منة يرى ان من يمن المرأة ان تلد الانثى قبل الذكر لان الله تعالى قال مقدما المرأة على الرجل :

"" ويهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكورا "" (٣) .

كما ان الصحابة الكرام كانوا لايرون على من كانت له ثلاث بنات صدقة ولا جهادا لحاجتهن اليه وشغله بهن وبالعناية بتربيتهن ، وقد روى ان من كانت له اربع بنات فادبهن واحسن تأديبهن ادخله الله الجنة .

وهكذا قضى الاسلام على هذه العادة الذميمة ومنح المرأة حق الحياة كاملا غير منقوص كما منحه للرجل واعاد اليها اعتبارها الانساني كمقدمة لمنحها اعتبارها الحقوقي القانوني في شتى نواحي الحياة .

---

(١) — سورة الانعام آية ١٤٠ .
(٢) — المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ١٧ .
(٣) — سورة الشورى آية ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الفصـــل الثانـــي

## حـق الحـــرية "" السـبي ""

الى جانب عادة الوأد القبيحة كما نرى عادة اخرى لا تقل قباحة عن الاولى وهي السبـي اى الانتقال من الحرية الى العبودية ، فقد جرى اكثر الجاهليين على عد المرأة كالمتاع الجامد الذى ينتهبونه من أعدائهم ، فاذا كانت الغارة حمل كل فارس ماقدر عليه من النساء والعذارى فاذا ماحملوهم كانوا جميعا ملكه يتصرف فيهم كما يشاء من بيع وتمتع وامتهان واسترقاق غير آبه لاطفال حرموا امهـم وام اصبحت بدون اطفالها فقطعوا بذلك الارحام وافسدوا الانساب .

نعم لقد كانت الحرب شؤما على المرأة فأى نكبة تمر بالمرأة اشد من ان تكون ناعمة في دارها آمنة في سربها مبتهجة بين لداتها وعشيرتها ثم تمسي وقد سلبها القاهر المستبيح من ذلك كلـــه وقادها الى امرأته سبية اسيرة تطلب رحمتها وتسأل انصافها .

ولما انتشر الاسلام نادى بحق الحرية فمنع السبايا وضيق من نطاق الاسترقاق من جهة وحث على العتق من جهة اخرى حتى قضى نهائيا على الرق .

فقد منع استرقاق المسلمين بعضهم لبعض اناثا كانوا او ذكورا كما منع استرقاق العرب بعضهم لبعض ولم يبق في الاسلام من مصادر للرق الا حرب يشنه المسلمون على غير المسلمين من غير العرب وكذلك حضهم على العتق وحبب الله الى المسلمين تحرير الرقبة وجعل لذلك طرقا ثلاث :

١ — ان تحرير الرقبة شكر لله على نعمه واحسانه فقد قال تعالى في محكم آياته :

"" الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين ، فلا اقتحـم ""
"" العقبة وما ادراك ماالعقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذى مسغبة يتيما ""
"" ذا مقربة او مسكينا ذا متربة "" (١) .

٢ — ولقد خصص الاسلام سهما من اسهم الزكاة في سبيل تحرير الرقاب والعتق فقال :

"" انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهـم ""
"" وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من اللـه ""
"" والله عليم حكيـــم "" (٢) .

٣ — وجعل الاسلام كذلك تحرير الرقبة كفارة عن يمين يحلفها المسلم غير صحيحة فقال :

---

(١) — سورة البلد آية ٨ .
(٢) — سورة التوبة آية ٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"" لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته ""

"" اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة ""(١) .

نعم لقد كانت حملة الاسلام على الرق حملة شعواء ولم تقتصر هذه الحملة على ما ورد في القرآن الكريم بل نجد ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم لم يألُ جهدا في محاربة هذه العادة الذميمة فها هو يقول :

"" اتقوا الله في خولكم فانهم اشقاؤكم ، لم ينحتوا من جبل ولم ينشروا من خشب ""

"" اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون واستعينوا بهم في اعمالكم "" (٢) .

وها هو يذهب بهذه الشفقة الى ابعد مدى فيشفق حتى على شعورهم من ان تمس وعلى نفسياتهم من ان تجرح ، فينادي المسلمين قائلا :

"" لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي "" (٣) .

ولم يشأ الاسلام بعد ان قام بهذه الحملة في محاربة الرق الا ان يخص المرأة وحدها بدعوة الى تحريرها وتخليصها من العبودية مبالغة منه في اكرامها ورفع منزلتها وحرصا على منحها حق الحرية المسلوب منها دهورا وازمنة طويلة فيقدم الرسول الكريم العروض السخية مغريا المسلمين بتحرير رقاب المرأة فيقول :

"" ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فاحسن تعليمها وادبها فاحسن تأديبها ""

"" ثم اعتقها فتزوجها فله اجران "" (٤) .

وكان المسلمون يتبارون في شراء العبيد والاماء وتحريرهم وكان منهم من يخرج عن كل عبيده كما فعل ابو بكر وكما فعلت عائشة حين اعتقت عشر جوار دفعة واحدة .

وهكذا نجد ان الاسلام سعى السعي الحثيث ليضمن للمرأة حقها في الحياة وقد ضمنها فعلا حتى تمتعت المرأة في الاسلام باسمى مكان وارفع منزلة .

---

(١) — سورة المائدة آية ٩٢ .

(٢) — المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٣٢ ومحاضرات الادباء جزء ١ ص ١٣٣ .

(٣) — صحيح البخاري جزء ٣ ص ١٥٠ المطبعة الخيرية .

(٤) — القسطلاني جزء ١ ص ٢٢٦ وجزء ٤ ص ٣٦٢ طبع بولاق ، والمرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الفصل الثالث

## حق المساواة

### البحث الاول

### مساواة المرأة بالمرأة

عني الاسلام اشد العناية بالمساواة بين جميع الافراد ، ومكن لهذه المساواة التمكين كله وكان الشق الثاني من هذه المساواة تساوي المرأة بالمرأة لافضل لاحداهن على الاخرى الا بالتقوى ، والخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله ، هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، اسمعوا واطيعوا ولو ولي عليكم عبد ، ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة .

كل هذه القواعد العامة جعلت العرب على اختلاف طبقاتهم ونحلهم يشعرون بالمساواة ، تلك المساواة التي طبقها اول من طبقها محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال :

" والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (١) .

وماهي فاطمة بنت الاسود المخزومية وهي من اشراف قريش ذات الحسب والنسب سرقت فاقام الرسول صلى الله عليه وسلم عليها الحد . (٢) .

والبحث مستفيض في هذا الموضوع الا انني سأكتفي بهذا القدر لانتقل الى ماهو من صلب البحث وهو مساواة المرأة بالرجل .

---

### البحث الثاني

### مساواة المرأة بالرجل

تصرفنا في الفصول السابقة على منزلة المرأة في المجتمع الجاهلي ومركزها بالنسبة للرجل الذي ماكانت تعدو في نظره متاعا من امتعة الدنيا الرخيصة وعرضا من اعراضها المبتذلة .

حتى جاء الاسلام معلنا حقوق المرأة ومناديا بمساواتها مع الرجل موضحا انها منه وهو منها عندما يقول في القرآن الكريم :

---

(١) — المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٢١ عن ارشاد الساري جزء ٩ ص ٥٠٤ — ٥٠٥ طبع بولاق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"" فاستجاب لهم ربهم اني لااضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض"" (١)

وحتى القرآن نفسه فاننا نجده في بعض الاحيان يقدم ذكر المرأة على ذكر الرجل • فها هو يقول : "" ويهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور "" (٢) •

ويكاد الوحي لايذكر الرجال في مكرمة او تشريع او ترغيب او ثناء الا ذكر النساء معهم وما اكثر ماتجد في التنزيل العزيز امثال قوله تعالى :

"" ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين ""
"" والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقيـــن ""
"" والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين ""
"" الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ""(٣) •

نعم لقد حقق الاسلام المساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة ، فأى مساواة تنشد بعد قوله تعالى : "" ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف "" (٤) •

وامعن القرآن في رفع منزلة المرأة الادبية ومركزها الاجتماعي واستنقذها من الحضيض ليبوأها الاوج فبقيت في سماء المجتمع الاسلامي شيئا مقدسا تتطاول اليه الانظار بالحرمة والرعاية والنفوس بالاحترام والاكبار •

(( حتى ان الخلفاء كانوا يخدموهن في بيوتهن وذكروا ان عمر قد خرج يوما ومعه الناس فمر بعجوز فاستوقفته فوقف وجعلت تحدثه ويحدثها فقال له رجل ياأمير المؤمنين حبست الناس علـــى هذه العجوز فقال عمر ويلك اتدرى من هي هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هـــذه خولة بنت مالك بن ثعلبة التي انزل الله فيها قوله : (٥)

"" قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله "" (٦) •

قال ابن الخطاب والله ماكنا في الجاهلية نعد للنساء امرا حتى انزل الله فيهن ماأنزل • وهـــذا معاوية عندما كان بين يديه بنته عائشة ودخل عليه عمرو بن العاص وقال من هذه فاجاب هذه تفاحة القلب فقال له انبذها منك فوالله انهن ليلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن فقـــال

---

(١) ــ سورة آل عمران آية ١٩٥ •
(٢) ــ سورة الشورى آية ٤٩ •
(٣) ــ سورة الاحزاب آية ٣٥ •
(٤) ــ سورة البقرة آية ٢٢٨ •
(٥) ــ سورة آل عمران آية ١٨١ •
(٦) ــ المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ١٩ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معاوية لا تقل ذلك ياعمرو فوالله مامرض المرضى ولا ندب الموتى ولا اعان على الاحزان مثلهن ورب ابن اخت قد نفع خاله (١) .

والاسلام ساوى بين الرجل والمرأة حتى امام القانون اذ انه ساوى بين دم الرجل ودم المرأة في القتل وصار يقتل قاتلها كما ساوى بينهما في حد القذف .

عرف محمد صلى الله عليه وسلم نفسية المرأة وغرائزها الخاصة بجنسها فكان يعاملها بمقتضى ماعرفه عنها فيكثر من تأنيسها والرفق بها والانة القول لها وانه كثيرا مما كان يعامل به نساءه نراه اليوم غير لائق ولا مناسب .

من ذلك انه كان يخرجهن معه في اسفاره . وكانت احداهن اذا ارادت الركوب بسط لها ركبته لتدوس عليها وتصعد الى هودجها ، واذا كان معها في الفلاة سابقها اشواطا لاجل الرياضة وادخال المسرة عليها وليكون في السبق معها على حد المساواة بينه وبينها .

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم جار من بلاد فارس فدعى هذا الفارسي النبي الى طعام ولم يدع معه زوجته السيدة عائشة فلم يقبل النبي الدعوة مالم تكن معه عائشة فدعاها وكأن النبي يرى ان تراه دعوتها اهانة لها ولذا رفض الدعوة مالم تدع هي ايضا .

ونهى الرجل عن ضرب زوجته ونبه الى ان ضربها لايلائم طبيعة مابينهما من العلاقة الزوجية وما زالت الشرائع الانكليزية الى اليوم تجيز للزوج ان يضرب زوجته لكن بعصا لا تزيد ثخانتها على الاصبع وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم حاضنته بركة الحبشية ويقول للصحابة هذه امي بعد امي وكان يمازحها احيانا ، طلبت منه جملا تركبه فوعدها بان يهدي اليها ابن الناقة فصاحت وماذا اصنع بابن الناقة وهل يطيق حملي ، اريد جملا ، فضحك الصحابة وقالوا ويحك وهل الجمل الا ابن الناقة .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في صبيحة يوم من الايام نساء مقبلات من عرس ومعهن صبيانهن فوقف لهن وهتف قائلا اللهم انتم من احب الناس الي ، اللهم انتم من احب الناس الي .

نعم انه كان يحب النساء لانهن يربين الرجال كما ربته بركة في يتمه ، ويساعدن الرجال كما ساعدته خديجة في نهضته ، وينشرن الثقافة والعلم عن الرجال كما فعلت عائشة مذ حملت عنه ثقافته وبلغت امته سنن شريعته .

---

(١) — الاسلام والمرأة — سعيد الافغاني — ص ٣٩ عن الاصابة جزء ٨ ص ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشر محمد صلى الله عليه وسلم بحرية المرأة وبانقاذها من عبوديتها القديمة ذلك التبشير الذى لم يخف امره على العلماء من كتاب اوربا حتى غير المنصفين منهم ، فلقد قال المستشرق ( اندره سرفية ) في كتابه الاسلام ونفسية المسلمين مانصه :

(( يتحرى محمد الاسباب التي تجعل المرأة من حزبه ولا يتكلم عنها الا بكل لطف ولا يعاملها الا باحسان ويجتهد ان يحسن احوالها )) .

وها هو العالم الالماني ( دريسمان ) صرح بان اعطاء محمد المرأة حريتها هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدنيتهم ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية انحطوا واضمحلت مدنيتهم .

اختبر محمد صلى الله عليه وسلم المرأة في جميع ادوار حياته وامتزجت عاطفته بعاطفتها طفلا وشابا وكهلا ، وكان لها من التأثير في حياته ماجعله يرفع منزلتها ويعلن حريتها ويسوى بينها وبين الرجل .

ومن اعجب المصادفات ان ينعقد مجمع "" ماكون "" في زمن محمد اى في سنة ٥٨٦ للميلاد ويبحث في — هل المرأة انسان — ؟؟

ثم قرر انها انسان لكنها انما خلقت لخدمة الرجل ولم يكد يصدر القرار في اوربا حتى نقضه محمد في الحجاز ورفع صوته قائلا : (( انما النساء شقائق الرجال )) .

بل قال للرجال : الستم حريصين على دخول الجنة ؟ هذه الجنة التي تحرصون عليها هي تحت اقدام المرأة . (( الجنة تحت اقدام الامهات )) .

وهذا هو النبي الكريم يشتد غضبا ويقف واجما لاحراك فيه عندما يسمع بان جارية ذهبت لترعى قطيعا من الغنم فهجم عليها الذئب واكل واحدة فضربها مولاها فاتت تشكوه لرسول الله فقال عليه الصلاة والسلام وما عساها تفعل بالذئب ، وما عساها تفعل بالذئب ، وكرر ذلك عدة مرات (١) .

كل هذه الحوادث وكل هذه القوانين والقواعد العامة التي جاء بها الاسلام رفعت منزلة المرأة مكانا ساميا حتى صارت المرأة في المجتمع الاسلامي بمكانة حقوقية تحسد عليها متمدنة القرن العشرين .

---

(١) — المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٢١ والمرأة في مختلف العصور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الفصـــل الرابـــع

## حق المـرأة فـي التعليـــم

اننا نفهم من المنزلة التي كانت للمرأة في الجاهلية تلك التي رأيناها في الفصول السابقة ان المرأة ماكانت متعلمة بل ماكانت تفكر بان تتعلم ، هذا اذا استثنينا بعض الشواذ ، وكيف تتعلم او تفكر بان تتعلم قبل ان تنقذ نفسها من الهوة السحيقة التي هي بها في مستوى الماشية والمتاع .

الى ان جاء الاسلام معترفا لها بحق طلب العلم والمعرفة فلم يفرق في ذلك بين انثى او ذكـر بل كان على عادته في كل امر من امور هذه الحياة يضعهما معا على حد سواء . ولم يكتف محمد صلى الله عليه وسلم بان اعترف لها بحق العلم بل فرضه عليها فرضا حين جهر مناديا :

"" طلب العلم فريضـة على كـل مسـلم ومسـلمة ""

فكان للزوجة حق اخذ العلم عن زوجها اذا كانت غير متعلمة ولها اذا قصر زوجها في اداء هـذه المهمة السعي في طلب العلم من غيره . ولقد فتح الاسلام باب العلم امام المرأة في كل ناحية مـن نواحيه فكان النساء في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يتسابقن الى العلم فيحضرن مجالس الرسـول ويستمعن الى مواعظه كما يحضرن المؤتمرات ويشتركن فيها اشتراكا فعليا ، وكان ثمة مجالس مشـهورة ومواسم موعودة يشترك فيها النساء . حتى ظهر من النساء الشاعرة كالخنساء والمتنبئة كزرقاء اليمامة والعلامة الحرافة كحزام :

اذا قالت حزام فصدقوها فان القول ماقالت حـزام

ويمكن القول ان المرأة في العصر الاسلامي الاول كانت تتمتع بنصيب وافر من حقها في العلـم والتاريخ الاسلامي حافل بما للمسلمات المتعلمات من مكانة علمية سامية مرموقة وأية مكانة اسمى من تلك المكانة التي كانت للسيدة عائشة رضي الله عنها عندما خاطبنا الرسول (صلعم) قائلا :

"" خذوا نصف دينكـم عن هـذه الحميراء ""

والسيدة عائشة زعيمة الآخذين بالعلم والادب والدين وكانت استاذة لمشيخة الصحابة الاجـلاء في كثير من امور العلم والدين . ولبث الخلفاء الراشدون يرعون منزلتها ويشاورونها ويسألونها المسائل ويرجعون الى رأيها وهي واقفة بالمرصاد لكبارهم تصحح لهم كلما رأت خطأ في حديث يحدثون بـه او حكم يصدرونه ، وقد الف الزركشي كتابا قائما بذاته يتضمن الامور التي استدركتها السيدة عائشة علـى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعلام الصحابة ، ولا بأس هنا من ايراد استدراك واحد — على سبيل المثال — على عبد الله بن عمرو ابن العاص حين بلغها انه يأمر النساء اذا اغتسلن ان ينفضن رؤوسهن فقالت : ((ياعجبا لابن عمرو يأمر النساء اذا اغتسلن ان ينفضن رؤوسهن افلا يأمرهن ان يحلقن رؤوسهن ؟ لقد كنت اغتسل انا ورسول الله من اناء واحد وما ازيد ان افرغ على رأسي ثلاث افراغات ... )) (١) .

(١) — الاسلام والمرأة — سعيد الافغاني — ص ٥١ عن الاصابة لايراد ما استدركته عائشة ، ص ١٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الباب الثالث

## الحقوق العامة للمرأة في الاسلام

### الفصل الاول

### حرية الرأى

ان في الشريعة الاسلامية لعنصر كريم من هذه الحرية وهو عنصر يظهر لنا تفوقه وعظمته اذا قسناه بمعاييرنا الحديثة وبما نحن عليه اليوم .

فالمرأة لا تزال ونحن في النصف الثاني من القرن العشرين تطالب بان يكون لها حرية في الرأى في شؤون بلادها واوضاعها العامة ، ولكن هذه الحرية المسلوبة منها اليوم كما كانت مسلوبة منها بشكل اقوى واكبر في العصر الجاهلي ، كانت في صدر الاسلام معطاة للمرأة بكاملها اذ اعترف لها الاسلام بهذه الحرية واعطاها اياها كاملة غير منقوصة والامثلة على ذلك كثيرة .

فقد جاء ان زعيمة منهن قد انتدبت لتتحدث الى النبي صلى الله عليه وسلم مطالبة بحقوق المرأة مبينة رأيها في هذه الحقوق .

ففي حديث مسلم ان اسماء بنت يزيد الانصارية اتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين اصحابه فقالت : "" بابي انت وامي يارسول الله انا وافدة النساء اليك ، ان الله عز وجل بعث بك الى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبالهك ، انا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات اولادكم وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل وان احدكم اذا خرج حاجا او معتمرا او مجاهدا — حفظنا لكم اموالكم وغزلنا اثوابكم وربينا لكم اولادكم افنشارككم في هذا الاجر والخير"" . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى اصحابه بوجهه كله ثم قال : (( هل سمعتم مسألة امرأة قط احسن من مسألتها في امر دينها من هذه )) فقالوا : (( يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدى الى مثل هذا )) فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (( افهمي ايتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء ان حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله )) (١) .

---

(١) — المرأة في مختلف العصور ص ٧٦ . صحيح مسلم ، المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ذلك نرى ان النساء في حياة النبي الكريم قد فكرن منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف فيما فكرت فيه المرأة المتحضرة اليوم وانهن حاولن ان يقمن بحركة يدافعن بها عن حقوقهن ويبدين فيما آراءهن ثم نبحث هذه الحجج التي ساقتها زعيمة النساء المسلمات فنرى فيها منتهى الصراحة ومنتهى الحرية في ابداء الرأي . وقصة المرأة التي قاطعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان قائما في الناس يخطب اعرف من ان تعرف .

لقد ذكر ابن الجوزي في كتابه في سيرة عمر بن الخطاب ان عمر نهى الناس عن زيادة المهور وخطب فيهم قائلا : (( لا تزيدوا في مهور النساء على اربعين اوقية فمن زاد القيت الزيادة في بيت المال )) ، ثم نزل فقامت امرأة من صف النساء طويلة في انفها فطس فقالت : "" ماذلك لك "" فقال : "" ولم "" قالت "" لان الله تعالى قال : (( ... وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاأتأخذونه بهتانا واثما مبينا ))(١) فقال عمر "" امرأة اصابت ورجل اخطأ كل الناس افقه من عمر "" ثم رجع فصعد المنبر فقال "" ياأيها الناس كنت نهيتكم ان تزيدوا النساء في صدقاتهن "" مهورهن "" على اربعمائة درهم فمن شاء ان يعطي من ماله ماأحب وطابت به نفسه فليفعل "" .

نعم لقد كانت حرية الرأي بالنسبة للمرأة في الاسلام مصونة بشكل لم يعرف له التاريخ مثيلا الا ماندر ، فها هي عائشة تدخلت في مسألة الخلافة العظمى وكانت رئيسة للحزب المعارض لاحد الخلفاء وها هي عندما دخلت البصرة تقف في الناس خطيبة تبين رأيها وتحمل الناس على الانضمام الى هذا الرأي وانني اورد هنا بعض ماخطبت به في الناس فقالت :

(( ان الغوغاء من اهل الامصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم "" "" واحدثوا فيه الاحداث وآووا فيه المحدثين ، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله "" "" مع مانالوا من قتل امام المسلمين (عثمان ) بلا ترة ولاعذر فاستحلوا الدم الحرام ، "" "" فسفكوه وانتهبوا المال الحرام ، واحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، ومزقوا الاعراض "" "" والجلود واقاموا في دور قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين "" "" لايقدرون على امتناع ولا يأمنون ، فخرجت بالمسلمين اعلمهم ماأتى هؤلاء القوم وما "" "" فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي لهم ان يأتوا في اصلاح هذا ، وقرأت ، ولاخير في "" من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ، ننهض في الاصلاح ، ""

---

(١) — سورة النساء آية ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"" ممن امر الله عز وجل وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الصغير والكبير والذكر ""

"" والانثى فهذا شأننا ، الى معروف نأمركم به ، ونحضكم عليه ، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم ""

""على تغييره )) (١) .

فهل بعد حرية الرأى هذه من حرية يتشدق بها الغرب ، انها لعمر الحق تمام الحرية وصورتها الكاملة منحها الاسلام للمرأة اعزازا لها واكراما .

---

## الفصل الثاني

## حق المرأة المسلمة في الانتخاب

منذ ان طلعت على العالم طلائع الحكم الديموقراطي المبني على انتخاب الشعب لحكامه ومشرعيه والمرأة تناضل ليكون لها هذا الحق مثل ماللرجل وهي حتى اليوم لا تزال محرومة منه في كثير من بلدان العالم وخاصة العالم العربي .

وفي الجاهلية كذلك لانجد اثرا من آثار هذا الحق الذى لم يكن معروفا آنذاك الى ان جاء الاسلام بديموقراطيته الحقة فاقر حق الانتخاب في نظام البيعة واقره للمرأة والرجل معا على حد سواء .

فما ان نجد القرآن الكريم يذكر بيعة الرجال في قوله تعالى :

(( لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فانزل ))

(( السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا )) (٢) .

حتى نجده يذكر بيعة النساء كذلك في قوله تعالى :

(( يأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ))

(( ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا ))

(( يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم )) (٣)

نعم لقد كان للنساء بيعة كما كان للرجال بيعة .

---

(١) — تحرير المرأة — قاسم امين — الطبعة الثانية ١٩٤١ — ص ١١٩ — ١٢٠ عن الطبرى جزء ٦ ص ٣١١٦ .

(٢) — سورة الفتح .

(٣) — سورة الممتحنة آية ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فها هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة والدها ولما اجمع الناس على خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فاطمته هي ولم تبايعه وامتنع كذلك زوجها علي ابن ابي طالب رضي الله عنه عن مبايعته وانضم اليهم ابوسفيان والزبير وغيرهم ، وكادت تحدث ثورة بين المسلمين ، فهدد عمر بن الخطاب بحرق بيت علي وانبرى الزبير لقتل عمر ، وبقي المسلمون في بلبلة لم ينقذهم منها الا السيدة فاطمة عندما استعملت حقها في الانتخاب وقبلت ببيعة ابي بكر (١) .

وهكذا لم يبق مقال لقائل في حق المرأة في الانتخاب اذ لو لم يكن هذا واجبا لما ذكره الله في قرآنه ولما حدث من جراء امتناع السيدة فاطمة عن انتخاب ابي بكر ما حدث .

وها هي السيدة عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم تتدخل تدخلا فعليا في امر انتخاب الخليفة لما حدث النزاع المعروف على الخلافة بين علي ومعاوية ، فنراها تنحاز الى احد الحزبين وتؤيده وتنتصر له في معركة انتخاب الخليفة تماما كما يحدث في ايامنا هذه في معارك الانتخابات بل واكثر مما يحدث الآن اذ انها خاضت موقعة حربية كبرى لها مكان بارز في تاريخ العرب والمسلمين السياسي وهي وقعة الجمل ولم تكتف بهذا بل ذهبت الى العراق ودخلت البصرة وقامت في اهل البصرة خطيبة وداعية لرأيها في تأييد من تؤيد ومعارضة من تعارض .

وليس الامر مقتصرا في هذا القبيل في السيدة فاطمة بنت الرسول ولا على عائشة زوجته فمؤيدات هذا الرأي من الحوادث التي وقعت في صدر الاسلام كثيرة كلها تشهد بان حق الانتخاب للمرأة كما هو للرجل لا فرق بينهما .

وها هي نائلة زوجة عثمان بن عفان تتدخل في امر انتخاب الخليفة بعد مقتل زوجها عثمان وتدخل المعركة الانتخابية بكتاب ترسله الى معاوية بن ابي سفيان تصف له فيه حادث مقتل زوجها عثمان ، وتعرض عليه فيه دخول المعركة الانتخابية معه ضد الجبهة الثانية عائشة وعلي في انتخابه الخليفة الجديد .

وها هم نساء الخوارج يشاركون ازواجهم في معركة معارضة الخليفة وانتخاب خليفة منهم وكم احتملن من ولاة العراق وسفاحيه من نكال ووبال وتفريق اوصال فلم يك شيء من ذلك يروعهن او يثلم غرضهن او يحول دون غايتهن حتى كانت احداهن تقاد الى القتل صابرة راضية لانها تدافع عن مبدأ هو في نظرها مبدأ سام الا وهو انتخاب خلفة يرضى عنه الخوارج .

---

(١) — الفريد جزء ٢ ص ٢٤٩ وابن جرير جزء ٤ ص ١٨٢٥ — ١٨٣٧ وبلاغات النساء ص ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الفصـــل الثالـث

## الحقوق السياسية للمرأة في الاســـلام

لقد عرفت المسارح السياسية المرأة في صدر الاسلام كما عرفتها في جميع مجالات نشاط الرجال الاجتماعية • فها هي السيدة فاطمة كما ذكرت في الفصل السابق تتمتع بكامل حقها السياسي فـــي بيعة الخليفة وانتخابه وتمتنع عن ذلك الى حين •

وها هي السيدة عائشة تتزعم حزب المعارضة لمعاوية بعد مقتل عثمان وتقود القوات للذود عـــن فكرتها السياسية وتستعمل لذلك مختلف الطرق والاساليب الى ان خاضت وقعة الجمل الشهيرة التـي عقدت قبلها تحالفا سياسيا عسكريا مع الخليفة عثمان بن عفان ضد علي بن ابي طالب (١) • وها هـي السيدة نائلة زوجة عثمان بن عفان تعقد مع معاوية بن ابي سفيان ضد علي بن ابي طالب معاهـــدة سياسية عسكرية للاخذ بثأر زوجها بعد ان ارسلت الى معاوية كتابا مطولا اثارته فيه بما اجادت مـــن دقة التصوير لمقتل زوجها (٢) •

كل ذلك لدليل واضح على ان المرأة المسلمة خاضت المعارك السياسية وان الاسلام اعترف لها بذلك لان الحوادث التي ذكرتها انما كانت في الصدر الاول للاسلام ولانها صدرت عمن اعترف لهـم بالفضل والتدين وخاصة السيدة عائشة زوجة الرسول تلك التي امرنا ان نأخذ نصف ديننا عنها •

فالسيدات عائشة وفاطمة ونائلة كن من ابطال السياسة البارعين في ذلك العصر الامر الذى يدل دلالة واضحة على ان الاسلام اقر الحقوق السياسية للمرأة قولا وعملا حتى ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ذهب بعيدا في احترام حق المرأة السياسي وذلك عندما جاء رجل من المشركين المحاربيـن الى السيدة ام هانىء واستجار بها فاجارته فعارضها بعض الصحابة واراد ان لا يعتبر جوارها فاغتاظت منه وشكته الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها ((قد اجرنا ما أجرت يا أم هانىء )) (٣) وهذا من ام هانىء مداخلة واضحة في امور سياسية عسكرية وقد رأى النبي ان لها الحق فيما فعلت ولم يقل لها ان هذا ليس من شأنك لانك امرأة •

---

(١) — العقد الفريد ص ٢٧٥ — ٢٨٣ وابن جرير جزء ٥٠ ص ٣٠٢٥ — ٣٢٢٦ والمرأة فـــي الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ١١٦ •

(٢) — العقد الفريد جزء ٢ ص ٢٧٢ والمرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ١١٧ — ١١٨ — ١١٩ •

(٣) — سيرة ابن هاشم جزء ٢ ص ٨٢ والبخارى جزء ٨ ص ٣٧ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الفصل الرابع

### حق المرأة المسلمة بالاشتراك في الحروب

يعترف الدين الاسلامي بحق المرأة في الاشتراك بالحروب وقد تأيد ذلك عندما اعترف لها في مسألة تأييد الدعوة الاسلامية ومقاومة الذين يعارضونها فكان للمرأة المساعي الحسنة في هذا السبيل وقد توفرت طائفة من نساء الصحابة على مرافقة الجيش وخدمة المحاربين . قالت ام عطية : "" كنت اصنع للمحاربين طعامهم واحفظ لهم خيامهم واداوي جرحاهم واقوم على مرضاهم "" . وقالت ام سنان : "" لما اراد النبي الذهاب الى خيبر جئته فقلت له أأخرج معك في سفرك هذا املئ السقاء واداوي المريض والجريح واحافظ على الرجال "" قال (( اخرجي على بركة الله فان لك صواحب سألنني الخروج معي فأذنت لهن فكوني مع زوجتي ام سلمة )) (١) .

نعم لم يكن شأن المرأة المسلمة في المغازي النبوية والحروب الاسلامية ليقل عن شأن الرجل فقد سايرته فيها مسايرة الند للند وتفوقت عليه بان كانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى وتأسو المصابين وتدفن القتلى وتنخي الرجال وتوقد نار الحماسة والاقدام في صدور الفرسان بجرأتها وشجاعتها وأى رجل يرى ذات خدر تخوض غمرات الحرب وتقاتل قتال الابطال الا ثارت فيه النخوة واضطرمت فيه الحمية فاندفع في حومات المعامع ساخرا بالموت لا يأبه لصلصلة البيض ولا لرنين القسي وكثيرات كن يرافقن الفرسان الى ساحات الوغى فحمنة بنت جحش اخت زينب زوجة النبي وام ايمن حاضنته حضرتا غزوة احد وحاربتا فيها (٢) .

ونسيبة المازنية كانت بين الذين دفعوا اذى المشركين عن النبي في أحد فقد خرجت تسقي الظمأى وتداوي الجرحى وكانت الحرب للمسلمين اول الامر ثم اشاحت بوجهها عنهم فتناولتهم سيوف المشركين واسنتهم وسهامهم فانكشفوا وولوا مدبرين الا عشرة وقفوا يدرأون عن النبي ويحولون دون الوصول اليه فلما رأت نسيبة ذلك انتضت سيفها واحتملت قوسها وانطلقت تصول وتجول بين يدى النبي تنزع عن القوس وتضرب بالسيف وحولها علي وابو بكر وعمر وسعد وطلحة والزبير والعباس وزوجها وولداها فكانت لا ترى الخطر يدنو من النبي الا كانت سداده حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم ما التفت يمينا وشمالا الا وانا اراها تقاتل دوني ، ولما جرح ابنها عمارة انقضت على جارحه فضربت ساقه فبرك وقد

---

(١) — المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٣٩ .
(٢) — المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اصيبت بثلاثة عشر جرحا غار واحد في جسمها فنزف الدم منه وعلى ذلك ظلت تنقض كالصاعقة وتضرب في نحور الاعداء غير آبهة ولا دارية للدم السائل على جسمها (١) .

وهاهي صفية بنت عبد المطلب عمة النبي انحدرت وحدها من حصن حسان بن ثابت حين اعتصم النساء والصبيان يوم الخندق فقتلت يهوديا كان يطوف بالحصن بعد ان جبن حسان — الذي كان معهم عن النزول اليه (٢) .

وهذه عائشة زوجة النبي خاضت موقعة الجمل راكبة في هودج على جملها الذي نسبت اليه المرتجة ويقول المؤرخون انه قتل حولها عشرون الفا وقطعت على بعيرها سبعون يدا ولم تجبن ولم تجزع .

وهذه اسماء بنت ابي بكر وولدها عبد الله بن الزبير التي دفعت ابنها في قتال الحجاج عامل الاموبين الى الموت لم يردها حنان الام تجاه مارأته له من مجد وخلود في مقتله والقصة معروفة فلا مجال لذكرها مفصلا (٣) .

وهذه خولة بنت الازور التي ملأت كتب التاريخ الاسلامي بروائع بطولاتها والتي ماكان يعرف في ساحات الوغى انها هي الا عندما تناشد بالله ان ترفع خمارها فترفعه فاذا هي فتاة حسناء الوجه حيفاء القوام وكان يظن انها فارس طويل الشارب خشن الوجه والمجال يضيق هنا عن ذكر تفاصيل مصارعها ويكفينا ان نعرف انها هي القائلة :

نحن بنات تبّع وحمير ... وضربنا في القوم ليس ينكسر
لاننا في الحرب نار تسعر ... اليوم تسقون العذاب الاكبر (٤) .

وهذه غزالة الحرورية زوج شبيب ابن يزيد قائد الخوارج المطلوم وهي من القادة العسكريين الكفاة الذين دوخوا البلاد وروعوا الجيوش وملؤوا القلوب . وهنا لضيق المجال لانستطيع ان ندخل في التفاصيل انما نذكر قول الشاعر الذي قال فيها :

هلا برزت الى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة جمعه بحساكسر ... تركت كتائبه كأمس الدابر (٥) .

---

(١) — سيرة ابن هشام وانسان العيون والآثار المحمدية وطبقات ابن سعد والاصابة .
(٢) — الاغاني جزء ٤ ص ١٤ وسيرة ابن هشام جزء ٢ ص ١٤٣ طبع بولاق والمرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٩٩ .
(٣) — بلاغات النساء ص ١٣٠ — ١٣٢ والمرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ١٣٠/ ١٣١/ ١٣٢ .
(٤) — المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٩٨ عن فتوح الشام الواقدي ص ٢٨/ ٢٩ طبع مصر .
(٥) — الاغاني جزء ١٦ ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه ايضا بطلة اخرى وهي ليلى بلت طريف (١)

قال صاحب الاغاني لما قتل يزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد الوليد بن طريف الشيباني القائد الثائر بعد فتكه بجيوش العباسيين خلفته اخته ليلى في قيادة جنده فاطبقت على جند الرشيد حتى خلعت قلوبهم ومزقت اوصالهم وقالوا لا تكون هذه الا اخت الوليد لان فعلها اشبه بفعله فلما ابصر يزيد الوهن في جنده قال دعوها ثم خرج اليها وضرب عجز فرسها وقال اعزبي عزب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت تنشد ارق مراثيها لاخيها واملأها لوعة في قصيدتها الفائية التي تقول فيها :

فيا شجر الخابور مالك مورقا  كأنك لم تجزع على ابن طريف

---

## الفصل الخامس

## حق المرأة في ممارسة السلطات العامة كالقضاء والوصاية على العرش

لم يكتف المشرع الاسلامي بهذا السمو في تقديس المرأة بل بالغ في طلب كثير من الحقوق لها حتى بعض الحقوق التي لم تصل اليها المرأة حتى الآن في اكثر بلدان العالم . فلقد شرع لها ان تكون قاضية ، فاجاز ابو حنيفة قضاءها في الاموال . ثم جاء الامام الطبري فاجاز قضاءها وحكمها في كل شيء الاموال وغيرها .

(( وقد ذكر السيد امير علي في محاضرته ، ان هذا الحكم قد عمل به اى نصبت بعض النساء قاضيات فقضين بين الناس في القرن الثامن المسيحي (٢) ولا ندري المصدر الذى اعتمد عليه السيد امير في ذلك ، وكذلك لا ندري في اى بلد كان هذا )) (٣) . على انني لا أستبعد ذلك .

ولم يكتف الاسلام بان ولاهن القضاء بل ولاهن الملك والسلطان وان التاريخ ليذكر اسماء سيدات محترمات ادرن ملكا واسعا وهن وصيات على اولادهن فكن مثلا يحتذى في حسن التدبير وكمال العقل وسعة الحيلة وبعد النظر .

---

(١) — الاغاني جزء ١١ ص ٩ وابن خلكان جزء ٢ ص ٢٣٧ طبع المطبعة الميمنيه .
(٢) — مركز المرأة في الاسلام — مطبعة زخور .
(٣) — الاسلام والمرأة — سعيد الافغاني — ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الباب الرابع

## الشخصية الحقوقية للمرأة في الاسلام

استطعنا حتى الآن ان ندرك المنزلة الاجتماعية السامية التي رفع الاسلام اليها المرأة بعد طول اهمال وامتهان وبقيت البلدان الاسلامية هي الاماكن الفريدة التي للمرأة فيها استقلال شخصي يحترمه القانون وبقيت اوربا حتى العصور القريبة تنظر الى المرأة نظرة امتهان ورثتها عن العصور المظلمة شأنها في ذلك شأن المرأة في العصر الجاهلي قبل الاسلام .

اما الامر الخطير الذى لايزال القانون الاسلامي سابقا فيه كل القوانين الحديثة فهو مايتعلق بشخصية المرأة الحقوقية . فقد منحها الشرع الاسلامي منذ اربعة عشر قرنا حق التصرف المستقل بكل ماتملك كما منح الرجل ، لايزيد احدهما على الآخر شيئا وهذا هو الشيء الذى لاتزال قوانين الحضارة الغربية قاصرة دون بلوغه حتى اليوم .

ولدراسة هذه الشخصية الحقوقية للمرأة في نظر الاسلام فقد اخترت التدرج الفطرى للانثى في هذه الدراسة .

### الفصل الاول

### الارث

لم يكن يؤول الى النساء شيء من مال الرجال ارثا في العصر الجاهلي وكان الرجال يقولون في ذلك "" لايرثنا الامن يحمل السيف ويحمي البيضة "" (١) وكان الرجل يرثه ابناؤه دون بناته فاذا لم يكن له ابناء ورثه الاقربون اليه من اوليائه وآلت الى وارثه بناته ونساؤه جميعا .

وقد روى عن ابن عباس انه قال لما نزلت الفرائض التي بين الله فيها انصبة البنت والزوجة كرهها الناس وقالوا تعطى المرأة الربع او الثمن وتعطى البنت النصف وليس من هؤلاء احد يقاتل القوم او يجلب الغنيمة .

وكان الجاهليون يرثون الناس كرها في نسائهم بان يجيء الوارث ويلقي ثوبه على زوجة مورثه ويقول "" ورثتها كما ورثت ماله "" (٢) ويكون له بعد ذلك كل الحقوق عليها ان شاء تزوجها وان شاء

---

(١) — المرأة في مختلف العصور ص ٦٧ .
(٢) — المرأة في مختلف العصور ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زوجها ، الى ان جاء الاسلام فجعل للمرأة حقا ونصيبا في مال زوجها او ولدها او ابيها او الاقربين وقد نزلت في ذلك الآية الكريمة :

(( للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك ))

(( الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا )) (١) .

وحدث البخاري عن سعد بن ابي وقاص قال "" مرضت بمكة مرضا اشفيت منه على الموت فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني فقلت يارسول الله ان لي مالا كثيرا وليس يرثني الا ابنتي أفأتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر ، قال ، لا ، قلت ، الثلث ، قال ، لا ، الثلث كثير انك ان تركت ولدك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس وانك لن تنفق نفقة الا اجرت عليها حتى اللقمة ترفعها الي في امرأتك . "" (٢)

ومثل هذا الحديث يعبر عن روح الشريعة الاسلامية نفسها اذ جعلت هذه الشريعة للمرأة وجودا مستقلا خاصا وكان من بين ذلك الذى اعترفت به لها حقها في الميراث .

نعم ! لقد ميز الدين الرجل عن المرأة في المواريث ولكن حكمة المشرع في ذلك ظاهرة لكل منصف يريد الحقيقة انا وجدت وحيثما كانت فاذا كبر الذكر عال عائلته من زوجه وولده الذين يحتاجون لثمرة جهاده ونتيجة اتعابه اما اذا شبت البنت فانها تتخذ لها زوجا يعولها ويقوم بواجبها من السعي والانفاق او تبقى لدى اخيها الكبير الذى ينفق عليها ، فحرام والحالة هذه ان يتساوى الولد والبنت تجزئة في مسراث ، وقد يقال ان البنت لا تضمن زوجها ولا تعرف مستقبلها وقد تبقى عاطلا مدى حياتها ولكنها اذ ذاك تكون بمفردها وكفاها ان نالت نصف اخيها .

ان ميزة الاسلام في هذا التقسيم يظهرها الشارع الانكليزى الذى لم يورث البنت مطلقا بل حصر ثروة الاب في اكبر الابناء وذلك لان البكر في نظرة عميد الاسرة وحامل لقبها والمحافظ على تراث مجدها .

وكذلك شأن الابناء الذكور بالنسبة الى الاسرة في نظر الشارع الاسلامي ، فان الابناء لما كانوا هم الذين يخلفون اباهم في اسرته وفي المسؤوليات التي يتركها لهم ، كانوا في حاجة الى المال اكثر من اخواتهم البنات اللواتي يندمجن في اسرة اخرى غير ملكلفات فيها النفقة .

فالمسألة اذن ليست مسألة تفضيل رجل على امرأة وانما هي مشألة اجتماعية اقتصادية املاها الواقع والضرورة .

---

(١) سورة النساء آية ( ١٢٠ ) (٢) المرأة في الجاهلية والاسلام جزء ٢ ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الفصـــل الثانـي

## الحقوق المدنية للمرأة في نظـر الاســـلام

### ولايتها على اموالها وعقودها المدنية

مضى على المرأة الف وثلاثمائة وسبعون عاما وهي لا تختلف عن الرجل في شيء فيما يتعلـــق بممارسة حقوقها المالية .

فقد سوى الشارع بين الذكر والانثى في المال والعقود وفي الولاية . فمتى بلغت المرأة ســـن النكاح وهي رشيدة ، كان لها ان تتصرف باموالها مهما بلغت وبأي وجه كان مستقلة بجميع هـــذه التصرفات القولية والفعلية .

وقد اعطاها الشارع الاسلامي الحرية التامة في ان تعقد عامة العقود المدنية من بيع وشراء واجارة وشركة ومساقاة ومزارعه وقرض ورهن وعارية وهبة ووصية ووصاية وغير ذلك ، وان توكل فيها من شاءت او تتوكل بها عمن شاءت وليس لابيها او زوجها ولا لغيرهما ان يتدخل في تلك الشؤون وذلك لقولـــه تعالى الصريح :

(( وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم )) (١)

وهذا ماذهب اليه الجمهور من الأئمة والعلماء المسلمين اطلاقا ولها بالاضافة الى ذلك كله حـــق التقاضي مع خصومها على قدم المساواة .

نكسة رجعية :

(( هذا وان كنت اعجب لشيء ، فلتلك النكسة الرجعية التي ابتلي بها المشرعون في اكثر الدول العربية المسلمة اذ ان المرأة العربية المسلمة كما ذكرت تمتعت بحريتها الكاملة في التصرف باموالهـــا في كل الاقطار والعصور الا ان بعض مشرعي الدول العربية اليوم قعدت همتهم عن تبني التشريـــع الاسلامي في التشاريع المكلفين بوضعها ، فاندفعوا بكل حماسة الى نسخ قانون اجنبي بحذافيره وضع في بلد غير بلدنا ولامة غير امتنا ولاعتبارات لا تنطبق علينا ولانهم ليس لديهم مالدينا من تاريخ تشريعي

(١) — سورة النساء الآية ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قويم ، كان مهمة المشرع هي ان يشحن بالبريد قانونا اجنبيا ليطبقه في البلد التي يسن لها تشريعها ، الامر الذى ادى الى حرمان المرأة العربية في بعض الاقطار من الاهلية التجارية اذا لم يأذن لها زوجها "" وان سألت هذا المشرع عن السبب في هذه النكسة الذميمة التي لا تتلاءم مع النظرة الحديثة للمرأة ومع تاريخنا التشريعي القويم لم تجد جوابا غير ان القوانين الاجنبية بل الفرنسية بشكل اصح التي طلبت من فرنسا بالبريد هكذا جاءت .

ولقد اثارت هذه القضية السخط والاستنكار والنفور في نفوس الاساتذة المجتمعين في المؤتمر الاول للمحامين العرب بدمشق الذى عقد في صيف عام ١٩٤٤ . ومما جاء في محاضرة القاها الاستاذ محمد صالح بك عميد كلية التجارة في الجامعة المصرية منقولا عن مجلة نقابة المحامين بدمشق :

يجب ان لا نقع في الاخطاء التي وقع فيها اسلافنا فننقل قانونا اجنبيا برمته دون ان نتدبر احكامه ونتفهم مراميه "" .

ولا ادرى السبب الذى حمل المشرع اللبناني لان يضع في المادة/ ١١/من قانون التجارة اللبناني :

"" من ان المرأة المتزوجة مهما تكن احكام القانون الشخصي الذى تخضع له لا تملك الاهلية ""

"" التجارية الا اذا حصلت على رضى زوجها الصريح او الضمني "" .

والمفهوم من هذا النص ان المشرع اللبناني تعمد الاخلال بالقاعدة المقررة في الشريعة الاسلامية وهي تساوى المرأة والرجل في الحقوق المدنية والتجارية فالمرأة المسلمة لها ذمة مستقلة عن ذمة زوجها ولها ان تتصرف في اموالها بلا حاجة الى الحصول على اذنه .

والمشرع اللبناني في هذه الخطوة انما سار اثر المشرع الفرنسي اذ كانت المرأة المتزوجة في فرنسا قبل عام ١٩٣٨ قاصرة لا يحق لها احتراف التجارة او تعاطي بعض الاعمال التجارية بدون اذن زوجها ثم خفف المشرع الفرنسي من وطأة هذا المنع اذ سمح بالقانون الذى اصدره في ١٨ شباط ١٩٣٨ للمرأة المتزوجة بتعاطي الاعمال التجارية منفردة بدون اذن زوجها ولكنها بقيت ممنوعة من احتراف التجارة ان لم تحصل على اذن بذلك ، على ان القانون الصادر في ٢٢ شباط ١٩٤٢ اجاز للمرأة احتراف التجارة بدون اذن ، ولكنه بالوقت نفسه اعطى للزوج سلطة المنع ، فان شاء الزوج في فرنسا بحسب التشريع الحالي ان يمنع زوجته من التجارة حق له ذلك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهل تدبر المشرع اللبناني مافي هذا الحظر من تناقض مع واقعنا وشرائعنا اذان المرأة المسلمة بموجب هذا التشريع القائم في لبنان يمتنع عليها التصرف في اموالها المنقولة بدون اذن الزوج )) (١).

ويرأى ان تساوى المرأة مع الرجل في الحقوق من قواعد النظام العام في البلاد الاسلامية ولا يملك المشرع العادى الاخلال بها .

على ان مشرعنا السورى والحمد لله تنبه الى هذه الناحية فساوى في الاهلية المدنية والتجارية بين المرأة والرجل اذ اخضع الاهلية التجارية لاحكام القانون المدني والقانون المدني لم يفرق بين الرجل والمرأة من جهة الاهلية اللازمة لتعاطي التجارة .

---

(١) — الاسلام والمرأة — سعيد الافغاني — ص ٤٤ — ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## الباب الخامس

# الاحوال الشخصية للمرأة في الاسلام

## الفصل الاول

## الزواج

ليس ادل على ماكانت عليه الزوجة في الجاهلية من مكانة منحطة حقيرة لا ترتفع عن المتاع بقليل اكثر ، من ان رجال الجاهلية كانوا يرثون الزوجات كرها وذلك بان يجيء الوارث ويلقى ثوبه على زوجة مورثه ويقول : "" ورثتها كما ورثت ماله "" (١) .

ويكون له بعد ذلك كل الحقوق عليها ان شاء تزوجها بلا مهر ، وان شاء زوجها واستوفى مهرها لنفسه ، وان شاء حرم عليها الزواج ليرثها اذا ماتت . وقد شاع بينهم زواج "" المقت "" وهو ان يتزوج الرجل زوجة ابيه بعد وفاته (٢) .

وكان منهم من يضلون النساء "" عضل = منع "فيحجب المطلق مطلقته حتى يأخذ مايريده منها ويمتنع الزوج اذا ماكره زوجته عن تسريحها ويسيء عشرتها حتى تفتدى نفسها بمهرها .

وكان منهم من اذا اراد مفارقة زوجته رماها بالفاحشة لتفتدى عرضها بما آتاها من المال ، بل لقد كان منهم من يتنازل عن زوجته لغيره اذا شاء ، بعوض او بغير عوض ، رضيت بذلك ام لم ترض .

وكان اولياؤهن يستأثرون بمهورهن فلا تأخذ البنت من مهرها شيئا . وكان تعدد الزوجات غير محدود ولا مقيد .

فما كان للزوجة من حقوق الزوجية شيء ، وكان للزوج من الحقوق الزوجية كل شيء .

كانت العلاقة الزوجية تخضع لنظام بدوي صحراوي ، او قل انها لم تكن هناك انظمة مطلقا لانها كانت عادات فطرية اخذت مكان العرف في حياة البدو قبل الاسلام مستمدة من المكانة التي كانت للمرأة آنذاك .

الى ان جاء الاسلام فاعلنها حربا شعواء على تلك العادات والتقاليد والاعراف ، فلم يرض ان تكون المرأة كالمتاع تنتقل ارثا من المورث الى الوارث فقد قال تعالى :

---

(١) — المرأة في مختلف العصور ص ٢٩ .
(٢) — المرأة في مختلف العصور ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(( يأيها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها )) سورة النساء آية / ١٩/

ولم يرض عن امتناع الزوج عن تسريح زوجته ليضطلها فنهى عن ذلك بقوله تعالى :

(( ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن )) سورة النساء آية / ٢٢/

واما زواج المقت فقد نهى عنه وحرمه بقوله :

(( ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف ))

(( انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا )) سورة النحل آية / ٥٨/

ولم يرض الاسلام عن استئثار ذوى الفتاة بمهرها بل جعله حقا خالصا لها لاينزعه منها الا ظالم وأيد ذلك بقوله في القرآن الكريم :

(( وآتوا النساء صدقاتهن )) سورة النساء آية / ٣/

وأكد على ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى :

(( وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا ))

(( منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى ))

(( بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا )) سورة النساء الآيتان / ١٩ — ٢٠/

نعم لقد منحت شريعتنا السمحاء النساء حقوقا لاتنقص عن حقوق الرجل في الزواج ، فلها الحق مثله في ان تتأكد بنفسها من امكان تحقيق آمالها وما علينا بعد هذا الا ان نسمع صوت شريعتنا — ونتبع احكام القرآن الكريم وما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم واعمال الصحابة الكرام لتتم لنا السعادة في الزواج .

لقد جاء في القرآن الكريم :

(( ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف )) سورة البقرة آية / ٢٢٨/

وكان ابن عباس يقول أتبا مالهذه الآية الكريمة :

— اني احب ان أتزين لامرأتي — كما احب ان تتزين لي — (١) .

وقال تعالى تكريما وعطفا منه عليهن مخاطبا ازواجهن :

(( وعاشروهن بالمعروف )) سورة النساء آية / ١٨/

---

(١) — تحرير المرأة — قاسم امين — الطبعة الثانية — ١٩٤١ — ص ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله :

(( اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم بأهله )) (١) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب النساء فقد ورد في الحديث :

(( حبب الي من دنياكم ثلاث : النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة )) (٢)

وكان صلى الله عليه وسلم يحترم النساء احتراما برهن للعالم على مدى منزلة المرأة في الاسلام حتى انه كان يضع ركبته على الارض لتضع زوجته عليها رجلها اذا ارادت ان تركب ، وكان يتنازل الى ملاعبتهن وممازحتهن حتى روى انه كان يسابق السيدة عائشة فسبقته يوما وسبقها يوما آخر فقال :

(( هذه بتلك )) .

وكان يرأف بالنساء ويوصي بهن دائما ، فمما روى عنه قوله :

(( خياركم خياركم لنسائكم )) (٣) .

وقولـــه :

(( استوصوا بالنساء خيرا )) (٤) .

والاحاديث في هذا الموضوع كثيرة كلها تدل على ان الدين الاسلامي يحث على اعتبار المرأة واحترامها ومعاملتها بالاحسان والمعروف .

## الفصـــل الثاني

## الطلاق

رأينا في الفصل السابق كيف كانت منزلة المرأة عند العرب في الجاهلية ، وكيف انها ماكانـــت تخرج بمستواها في نظرهم عن مستوى الماشية والمتاع والمال الموروث ، لذلك لم استطع ان اجد فـي اعرافهم مفهوما واضحا للطلاق . انما هي فرقة وتخل باساليب مختلفة ، لاتخرج هذه الاساليـــب بجوهرها وفحواها عن اساليب التخلي عن المال والمتاع .

---

(١) ـ تحرير المرأة ـ قاسم امين ـ الطبعة الثانية ١٩٤١ ـ ص ١٢٨ .
(٢) ـ تحرير المرأة ـ قاسم امين ـ الطبعة الثانية ١٩٤١ ـ ص ١٢٨ .
(٣) ـ تحرير المرأة ـ قاسم امين ـ الطبعة الثانية ١٩٤١ ـ ص ١٢٩ .
(٤) ـ تحرير المرأة ـ قاسم امين ـ الطبعة الثانية ١٩٤١ ـ ص ١٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى ان جاء الاسلام وشرع الله الطلاق فيه لفصم رابطة الزوجية عند تعذر بقائها على حال — يتحقق فيها الطرفان ان الحياة مع بعضهما اصبحت غير موصلة الى الغاية منها ، وقد نص الفقهاء على ان ايقاع الطلاق مكروه ان لم يكن لسبب شرعي ٠

وقد شرع الله الطلاق على دفعات ثلاث ليجرب الرجل حياة الطلاق وتجربها المرأة حتى اذا وجدا ان الخير في العودة الى الحياة الزوجية عادا اليها ، ولا تفصم الرابطة الا بعد المرة الثالثة وقد نص القرآن على ذلك بقوله :

(( الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان )) (١) ٠

ومن هذا نرى ان الاسلام جعل احسان العشرة الزوجية من اهم مايجب على الرجل التزامه وكره الشارع الطلاق الى النساء وبغضهم فيه واوجب على الرجل ان اوقعه واجبات غير سهلة ، بل انه توقع للرجل خيرا كثيرا ان هو ابقى على العلاقة الزوجية حتى حين تشتد الكراهية بين الزوجين المتنافرين فقال تعالى :

(( وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا )) (٢)

ولقد عالج الاسلام الحياة الزوجية معالجة واقعية مستمدة من التجارب ، اذان المشرع المسلم يعلم اننا مهما تحرينا ان يكون الزوجان متلائمين في اخلاقهما وطباعهما فلا بد ان يقع سوء استعمال في هذا التحري وبالتالي سوء تفاهم بين الزوجين حتى يؤدي احيانا كثيرة الى فساد الحب الزوجي وتمخيض الهناء العائلي فيضطر الزوجان اذ ذاك الى التفرقة ، وكثيرا ماتكون هذه التفرقة في مصلحة الزوجة التي تتخلص من زوجها الشرير ٠

ومع هذا فان محمدا يكره الطلاق ويأمر بالصبر حتى قال :

(( ابغض الحلال الى الله الطلاق )) (٣) ٠

فالوحي المحمدي كابر الرجل في حسه مراعاة للمرأة حتى انه خاطب الرجل بانك ان شعرت بكره لامرأتك فما يدريك ان يكون في هذا الكره الخير الكثير ؟ ٠

الى هذا الحد حض محمد صلى الله عليه وسلم على تجنب الطلاق لكن اتباع محمد خالفوا ناموس شريعتهم فنزل بهم البلاء وشوهت هذه النعمة التي انعم الله بها على المرأة والرجل على حد سواء ٠

---

(١) — سورة البقرة آية ٢٢٩ ٠
(٢) — سورة النساء آية ١٨ ٠
(٣) — تحرير المرأة — قاسم امين — الطبعة الثانية — ص ١٤٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا لاترجع تبعته على الاسلام الا ان النواميس والقوانين الطبيعية كنواميس الصحة والمرض مثلا يخالفها الناس فيحل بهم الوباء • وليس الذنب في ذلك على الطبيعة او على الاطباء انما الذنب على الذين خالفوا نواميس هذا الكون الموضوع في احسن تقويم •

قال شيشرون : "" من كان غير سعيد فالذنب ذنبه "" •

افرط المسلمون في الطلاق فطلقوا بدون قيد ولا شرط • وافرط النصارى فلم يطلقوا حتى عند الضرورة • ثم في آخر الأمر احس الفريقان بالخطأ • فعاد المسلمون الى تضييق دائرة الطلاق كما حدث في تركيا مثلا • وعاد المسيحيون الى توسيع تلك الدائرة كما حدث في امريكا مثلا • فالاعتدال والتوسط ومراعاة الحكمة في الطلاق هو ما أراده الشرع الاسلامي حين شرع الطلاق • واول مايجدر الالتفات اليه في هذا البحث ان شرعنا الشريف قد حظر بالاصل الطلاق ، وقد جاء في حواشي الفقيه ابن عابدين مايلي :

"" ان الاصل في الطلاق الحظر بمعنى انه محظور الا لعارض يبيحه ، وهو معنى قولهم الاصل ""

"" فيه الحظر والاباحة الحاجة الى الخلاص ، فاذا كان بلا سبب اصلا لم يكن فيه حاجة الى ""

"" الخلاص بل يكون حمقا وسفاهة رأي ، ومجرد كفران بالنعمة "" قال تعالى :

(( فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا )) اى لاتطلبوا الفراق (١) •

والجدير بالذكر اخيرا ان هذا الحق لم يعط للرجل وحده فقط انما اعطي للمرأة في كثير من الاحيان : فهو من حقها المشروع تستعمله في اى وقت تشاء اذا اشترطت ذلك في عقدها • وتستعمله كذلك عندما ترى ان ضررا سيحل بها من جراء بقاء رابطة الزوجية •

فقد جاء في كتاب البهجة في شرح التحفة لابي حسن القولي مايأتي :

"" ان الزوجة التي في العصمة اذا اثبتت ضرر زوجها بها فامرها بيدها "" (٢) •

والطلاق من حقها ايضا اذا وجدت في زوجها احدى العلل المحددة في الشرع والقانون ، وهو من حقها ايضا اذا غاب الزوج بلا عذر مقبول ، او حكم بعقوبة السجن اكثر من ثلاث سنوات حسب ماحدده قانوننا في الاحوال الشخصية • وهو كذلك من حقها اذا امتنع زوجها عن الانفاق عليها •

---

(١) — تحرير المرأة — قاسم امين — الطبعة الثانية ١٩٤١ — ص ١٤٦ • عن حاشية ابن عابدين جزء ٢ ص ٥٧٢ •

(٢) — تحرير المرأة — قاسم امين — الطبعة الثانية ١٩٤١ — ص ١٦٢ عن كتاب البهجة في شرح التحفة لابي حسن القولي •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذهب الشرع الاسلامي الى ابعد من ذلك في حفظ حقوق المرأة فاباح لها طلب الطلاق بمجرد وقوع شقاق بين الزوجين فاذا عجز القاضي عن الاصلاح فرق بينهما .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الا تجبر المرأة في امر زواجها فهو يعطيها الحق في ان تتزوج من تختاره ويطيب لها العيش معه وهي ان فعلت وظهر لها اخيرا ان العيش لا يمكن ان يطيب مع هذا الزوج تستطيع تركه كما بينت آنفا .

وهذه الفتاة "" بريرة "" كانت مملوكة للسيدة عائشة فاعتقتها وكانت بريرة متزوجة برجل اسمه مغيث فلما ملكت حريتها ملكت حق الاختيار في ان تبقى زوجة لمغيث او لا . ويظهر ان بريرة ماكانت في راحة من العيش مع مغيث فاعلنت انها لم تعد تريده زوجا لها . فصعب الامر على مغيث وكان يحبها حبا جما فاسترضاها فلم ترض . وهاهي بريرة تمشي في طرق المدينة ، ومغيث المسكين يمشي وراءها ودموعه تتحدر على وجنتيه والناس ينظرون اليه وقد اخذتهم الشفقة عليه وبريرة لا ترق ولا ترحم .

(( ارحميه يا بريرة ، ارثي لحاله ، اعطفي عليه )) كلا لا أريده . فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بخبر بريرة ومغيث فدعاها اليه وكلمها بشأنه فقالت له أتأمرني امرا يارسول الله ؟ لا ، وانما انا شفيع . لاحاجة لي فيه . فلم يعارضها النبي ولم يلمها في استعمال حريتها في تطليق زوجها وانما التفت الى عمه العباس واكتفى بان قال مطلقا : ياعباس الا تعجب من حب مغيث لبريرة ، ومن بغض بريرة لمغيث ؟ . (١)

أفيل يعاب علينا بعد ماذكرت بوجود الطلاق في شرعنا الاسلامي ؟ وهل منحت امرأة في عصر من العصور وفي بلد من البلدان مثلما منحت المرأة المسلمة ؟ . طبعا ، وجواب كل منصف ، لالا .

الفرق بين حق الطلاق الممنوح للرجل وحق المرأة بطلب التفريق :

ويجدر بي قبل الانتهاء من بحث الطلاق ان الفت النظر الى بعض الفروق القائمة بين حق الطلاق الممنوح للرجل وبين الحق ذاته الممنوح للمرأة :

١ — ان الشرع الاسلامي سمى هذا الانفصال بالنسبة للرجل طلاقا بينما سماه بالنسبة للمرأة طلب تفريق .

٢ — ان امر حق الطلاق الممنوح للرجل بيد الرجل نفسه يستعمله متى شاء وبأى مكان شاء فيستطيع ان يطلق زوجته وجاهيا او غيابيا او كتابة او بأى سبب كان بينما حق طلب التفريق الممنوح للمرأة

(١) — المبسوط جزء ٥ ص ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منوط امره بالمحكمة الشرعية وعليها اذا ماأرادت تركه زوجها وفرقته ان تتقدم الى القضاء الشرعي بدعوة تسمى دعوى التفريق توفيقا مع الباب الثالث بفصوله الاربع من قانون الاحوال الشخصية المعمول به في بلادنا اليوم . ومن هذا يتبين ان المرأة لاتستطيع كالرجل ان تقول لزوجها طلقتك بل عليها ان تطلب التفريق من القاضي بدعوى تقيمها كما بينت الا في حالة واحدة وهي عندما تشترط ان يكون امرها بيدها .

٣ — عندما يطلق الرجل فانه يطلق كما ذكرت كيف يشاء دون الرجوع لاحد بينما عندما يكون التفريق بطلب المرأة وعن طريق القضاء وبسبب شقاق ونزاع بين الزوجين فان القاضي يلجأ الى تعيين المحكمين حكما من اهله وحكما من اهلها يسعيان للاصلاح فان فشلا فرقا بينهما وقد اخذ بذلك قانون الاحوال الشخصية عندنا في مواد ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ .

٤ — طلاق التعسف : ان المرأة عندما تطلب التفريق من زوجها يفرق القاضي ولو كان طلبها هذا تعسفيا ودون مبرر قانوني او شرعي ويكون هذا التفريق على تمام المهر .

اما الرجل فاذا طلق زوجته وتبين للقاضي ان الزوجة متعسف في طلاقها دون سبب معقول او مبرر شرعي او قانوني ، وانها سيصيبها بذلك بؤس وفاقة جاز للقاضي ان يحكم لها على مطلقها بحسب حاله ودرجة تعسفه بتعويض لايتجاوز مبلغ نفقة لامثالها فوق نفقة العدة . وللقاضي ان يجعل دفع هذا التعويض جملة او شيئا بحسب مقتضى الحال (مادة ١١٧) من قانون الاحوال الشخصية — ابن عابدين في الحاشية في كتاب القضاء — .

## الفصل الثالث

## الحجاب

لابد لدراسة هذا الموضوع من تقسيمه الى قسمين :

١ — فيما يتعلق بنساء النبي : لقد ورد في هذا القسم من النصوص مايلي :

(( ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم واذا سألتموهن متاعافأسألوهن ))

(( من وراء حجاب ، ذلك اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ))

(( من بعده ابدا ان ذلكم عند الله عظيما )) .(١)

---

(١) سورة الاحزاب آية ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى :

(( يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه ))

(( مرض، وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ٠)) (١)

ولا يوجد اختلاف في جميع كتب الفقه من اى مذهب كانت ولا في كتب التفاسير في ان هذه النصوص هي خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم امرهن الله سبحانه وتعالى بالتحجب وبين لنا سبب هذا الحكم وهو انهن لسن كأحد من النساء ولما كان الخطاب خاصا بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت اسباب التنزيل خاصة بهن لا تنطبق على غيرهن فهذا الحجاب ليس بفرض ولا بواجب على احد من نساء المسلمين ٠

واما القسم الثاني فهن :

٢ ــ النساء المسلمات عامة :

---

فغاية ماورد في كتب الفقه عن هذا القسم حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى فيه عن الخلوة مع الاجنبي وهو (( لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذى محرم )) ٠

قال ابن عابدين : (( الخلوة بالاجنبية حرام الا لملازمة مذيونة هربت ودخلت خربة أو كانت عجوزا شوهاء وقيل : الخلوة بالاجنبية مكروهة كراهة تحريم ٠ وعن ابي يوسف : ليست بتحريم )) ٠ (٢)

وربما يقال ان مافرضه الله على نساء نبيه يستحب اتباعه لنساء المسلمين كافة فنجيب ان قوله تعالى : (( لستن كأحد من النساء )) (٣) يشير الى عدم الرغبة في المساواة في هذا الحكم وينبهنا الى ان في عدم الحجاب حكما ينبغي اعتبارها واحترامها وليس من الصواب تعطيل تلك الحكم مرضاة لاتباع الاسوة ٠

وكما يحسن التوسع فيما فيه تيسير او تخفيف، كذلك لا يجمل الغلو فيما فيه تشديد وتضييق او تعطيل لشيء من مصالح الحياة ، وعلى هذا وردت آيات الكتاب المبين :

قال تعالى :

(( يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر )) (٤) ٠

---

(١) سورة الاحزاب آية ٣٣ ٠

(٢) تحرير المرأة ــ قاسم امين ــ المطبعة الثانية ١٩٤١ ــ ص ٧٠ ٠

(٣) سورة الاحزاب آية ٣٣ ٠

(٤) سورة المائدة : آية ١٨٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال :

(( ماجعل عليكم في الدين من حرج . )) (١)

وقال ايضا :

(( ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم )) . (٢)

ولو كان إتباع الاسوة مطلوبا في مثل هذه الحالة لما رأينا احد الخلفاء المشهورين بشدة التقوى والتمسك بالسنة ، يجري في امرأته على مايخالف الحجاب واستدل على ذلك بذكر الواقعة الآتية :

بعث سلمة بن قيس برجل من قومه يخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بواقعة حربية فلما وصل ذلك الرجل الى بيت عمر قال : "فاستأذنت وسلمت فاذن لي فدخلت عليه فاذا هو جالس ومتكئ على وسادتين محشوتين ليفا فنبذ الي باحدهما فجلست عليها فقال : "ياأم كلثوم غذائنا " فاخرجت اليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق فقال : "ياأم كلثوم الا تخرجين الينا تأكلين معنا من هذا " قالت : " اني اسمع عندك حس رجل " قال " نعم ولا اراه من اهل البلد " قال فحين عرفت انه لم يصرفني قالت " لو اردت ان اخرج الى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته وكما كسا الزبير امرأته وكما كسا طلحة امرأته " قال " او مايكفيك ان يقال ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب وامرأة امير المؤمنين عمر " فقال : كل فلو كانت راضية لاطعمتك اطيب من هذا " ( تاريخ الطبري الجزء ٥ )(٣)

ومع هذا فانني لست من دعاة رفع الحجاب الآن دفعة واحدة والنساء على ماهن عليه اليوم اذ ان هذا الانقلاب ربما ينشأ عنه مفاسد جمة لايتأتى معها الوصول الى الغرض المطلوب كما هو الشأن في كل انقلاب فجائي وانما الذي اميل اليه هو اعداد نفوس البنات في زمن الصبا الى هذا التغيير فيعودن بالتدريج على الاستقلال ويغرس فيهن الاعتقاد بان العفة ملكة في النفس لا ثوب يختفي تحته الجسم ثم يعودن على معاملة الرجال من اقارب واجانب مع المحافظة على الحدود الشرعية واصول الادب تحت ملاحظة اوليائهن عند ذلك يسهل عليهن الاستمرار في معاملة الرجال بدون ادنى خطر يترتب على ذلك اللهم الا في احوال مستثناة لاتخلو منها محجبة ولا سافرة .

---

(١) ـ سورة الحج : آية ٧٨ .

(٢) ـ سورة المائدة : آية ١٠٤ .

(٣) ـ تحرير المرأة ـ قاسم امين ـ الطبعة الثانية ١٩٤١ صفحة ٧٢ عن الطبري جزء ٥ ص ٢٧١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا لم يحد باستطاعة اعداء الدين الاسلامي ان يعيبوا عليه الحجاب عند المرأة اذ ان الحجاب بالاصل لم يفرض فرضا كما بينت .

على ان الحجاب بحد ذاته لم يكن مقصورا على النساء المسلمات فقط فالتاريخ يروى ان الحجاب دور من الادوار التاريخية لحياة المرأة في جميع انحاء العالم .

قال لاروس تحت كلمة الخمار :

"" كانت نساء اليونان يستعملن الخمار اذا خرجن ويخفين وجههن بطرف منه "" عن كتاب تحرير المرأة .

وقال لاروس نفسه :

"" ترك الدين المسيحي للنساء خمارهن وحافظ عليه فالنساء المسيحيات كن يغطين رؤوسهن اذا "" "" خرجن في الطريق وفي وقت الصلاة وكانت النساء تستعمل الخمار في القرون الوسطى وخصوصا في "" القرن التاسع فكان الخمار يحيط باكتاف المرأة ويجر على الارض تقريبا واستمر كذلك الى القرن الثالث "" "" عشر حيث صارت النساء تخفف منه الا ان صار كما هو الآن نسيجا خفيفا يستعمل لحماية الوجه من "" "" التراب والبرد ولكن بقي بعد ذلك بزمن في اسبانيا وفي بلاد امريكا التي كانت تابعة لها "" (عن كتاب تحرير المرأة ) .

ومن هذا نرى ان الحجاب الموجود عندنا ليس خاصا بنا ولا ان المسلمين هم الذين استحدثوه ولكنه كان عادة معروفة عند كل الامم تقريبا ثم تلاشت هذه العادة طوعا لمقتضيات الاجتماع وجريا على سنة التقدم والترقي كما هو الامر عندنا اليوم .

تمـــــــــــــت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

## —(( المـــراجـــع ))—


القرآن الكريم

الحديـــث

الســـنة

قانون الاحوال الشخصية الحالي .

المرأ العربية في جاهليتها واسلامها : لعبد الله عفيفي .

المرأة في مختلف العصـــور : لاحمد خاكي .

الاسلام والمرأة : لسعيد الافغاني .

تحرير المرأة : لقاسم امين .

الحقوق التجارية السورية : لرزق الله انطاكي .


---

+++++++++

×××××

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit